خلاصة السيرة النبوية

د. محمد بن علي بن جميل المطري

الألوكة
www.alukah.net
00201156800204

خلاصة

السيرة النبوية

تأليف

محمد بن علي بن جميل المطري

غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي وسع كل شيء رحمة وعلما، وتبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، أرسله الله إلى الناس كافة، شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، صلى الله عليه وعلى أهل بيته وأزواجه وأصحابه وأتباعه وسلَّم تسليما كثيرا، أما بعد:

فهذه رسالة مختصرة فيها خلاصة السيرة النبوية، وفي آخرها ذكر بعض معجزاته ودلائل نبوته، أسأل الله أن ينفع بها من قرأها أو سمعها، وجزى الله خيرا من نشرها أو درَّسها أو ترجمها إلى غير اللغة العربية؛ لتعم بها الفائدة، والله الموفق وحده.

المؤلف

١ محرم ١٤٤٥ هجرية

صنعاء - اليمن

نسب النبي ومولده ونشأته

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، ينتهي نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام.

قبيلته قريش أفضل قبائل العرب، ومساكنها في مكة، وأسرته الهاشمية أشرف قريش وأفضلها.

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام حادثة الفيل، الموافق ٢٠ إبريل سنة ٥٧١م، وحادثة الفيل هي القصة المشهورة التي أهلك الله فيها جيش أبرهة الحبشي حينما أراد أن يهدم الكعبة، فأرسل الله عليهم طيرا أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، وقد كان العرب يؤرخون بتلك الحادثة لشهرتها.

وقد نشأ النبي محمد صلى الله عليه وسلم يتيما، إذ مات أبوه وهو حمل في بطن أمه، ثم ماتت أمه وهو ابن ست سنين.

لما شب كان يتاجر، وعُرِف في معاملاته بغاية الأمانة والصدق والعفاف حتى لُقِّب بالأمين.

وقد كان جامعا للصفات الحميدة، والأخلاق النبيلة، وأحاطه الله بالحفظ والرعاية، وبغّض إليه ما كان في قومه من سوء وخرافة.

* * *

بدء الوحي والدعوة إلى الله

لما اكتملت سن النبي صلى الله عليه وسلم أربعين، أتاه الملَك جبريل بالقرآن المبين، فقام النبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى دين الله سرا لمدة ثلاث سنوات، فاستجاب له بعض أهل مكة، ثم أمره الله أن يجهر بالدعوة، فجهر بها؛ فعاداه المشركون أشد العِداء، وقاموا بشتى الوسائل للقضاء على هذه الدعوة، من السخرية والاستهزاء بالرسول والمسلمين، والحيلولة بين الناس وبين سماع القرآن الكريم، وإثارة الشبهات حول الرسول وما جاء به من القرآن، والجدال بالباطل لتكذيب التوحيد والرسالة والبعث بعد الموت، وتعذيب المسلمين بأشد أنواع العذاب، وقتلوا بعض أصحابه الضعفاء من الرجال والنساء.

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه المستضعفين أن يهاجروا إلى الحبشة؛ ليفروا بدينهم من كفار قريش، وأقام النبي صلى الله عليه وسلم بين كفار قريش يدعوهم إلى الله، ويتلو عليهم كتاب الله، فما زادهم ذلك إلا نفورا واستكبارا، وكانوا يؤذون النبي عليه الصلاة والسلام بأنواع من الأذى قولا وفعلا، وهو صابر لربه صبرا جميلا.

* * *

الهجرة إلى المدينة وتأسيس الدولة الإسلامية

كان النبي عليه الصلاة والسلام يحج كل عام، ويخرج إلى منازل القبائل الوافدة إلى مكة؛ ليدعوهم إلى الإسلام، فكان يلقى منهم التكذيب والاستهزاء، ولم يمنعه ذلك من الاستمرار في الدعوة إلى الله في كل موسم حج، حتى التقى بنفر من أهل المدينة النبوية سنة ١١ من البعثة فأسلموا.

وفي الموسم المقبل سنة ١٢ من البعثة قدم نفر من أهل المدينة فأسلموا وبايعوا، وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم معهم بعض أصحابه ليعلمهم القرآن، فانتشر الإسلام في المدينة النبوية التي كانت تسمى يثرب.

وفي موسم الحج سنة ١٣ من البعثة اجتمع النبي صلى الله عليه وسلم بأكثر من سبعين مسلما من أهل المدينة من قبيلتي الأوس والخزرج، وبايعوه على أن ينصروه إذا قدم إليهم.

وبعد هذه البيعة هاجر المسلمون الذين في مكة إلى المدينة، ورجع إليها عامة من كان بأرض الحبشة، واستمر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو كفار قريش إلى الله، حتى قرروا قتله، فأمره الله بالهجرة سنة ١ هـ - ٦٢٢م، ونجاه الله من كيدهم.

ولما استقر عليه الصلاة والسلام في المدينة بدأ في بناء المسجد النبوي، وآخى بين المهاجرين والأنصار، وعقد معاهدات بين المسلمين وبين مشركي المدينة واليهود الساكنين في المدينة، وأصبحت المدينة وضواحيها دولة ذات استقلال وسيادة، والكلمة النافذة فيها للمسلمين.

* * *

الجهاد في سبيل الله

أحاط الخطر بالمسلمين في المدينة من داخلها وخارجها، بسبب مكائد الكفار للقضاء على المسلمين، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠]، فلما أذن الله للمسلمين بالقتال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتِّب الدوريات العسكرية، ويؤمِّر عليها بعض أصحابه، وربما خرج فيها بنفسه، وقد غزا النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه ١٩ غزوة، وكان المقصود من تلك التحركات العسكرية ما يلي:

١) استكشاف حركات العدو، وتأمين أطراف المدينة حتى لا يؤخذ المسلمون على غرة.

٢) عقد مواثيق التحالف أو عدم الاعتداء مع بعض القبائل.

٣) الضغط على كفار قريش بالتعرض لقوافلهم حتى يشعروا بالخطر على تجارتهم وأموالهم وأنفسهم، فإما أن يسالموا المسلمين، ويتركوهم ينشرون الإسلام، وإما أن يختاروا طريق القتال فيخسروا طريق تجارتهم إلى الشام التي تمر بأطراف المدينة، ويلقوا جزاء عدوانهم.

٤) إبلاغ رسالة الله، ونشر دعوة الإسلام؛ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

وهذه أهم الغزوات:

١) **غزوة بدر الكبرى** سنة ٢ هـ- ٦٢٤م: كانت هذه الغزوة أول معركة فاصلة بين المسلمين وكفار قريش، وكان عدد المسلمين فيها ٣١٣ رجلا، وكان عدد المشركين ألف رجل.

نصر الله المسلمين فيها نصرا مؤزرا، فقتلوا (٧٠) من المشركين، وأسروا (٧٠)، وكان كثير من القتلى والأسرى من عظماء قريش، واستُشهد في هذه المعركة (١٤) صحابيا.

وأخذ نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم الفدية من الأسرى، ومن كان منهم يقرأ ويكتب جعل فديته أن يُعلِّم القراءة والكتابة عشرة من غلمان المسلمين، وأحسن إلى بعض الأسرى فأطلقهم بغير فدية.

٢)**غزوة أحد** سنة ٣ هـ - ٦٢٥م: جهز كفار قريش (٣٠٠٠) مقاتل للانتقام من المسلمين، ووصل هذا الجيش إلى ضواحي المدينة قرب جبل أحد، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم لقتالهم، وكان عدد المسلمين (٧٠٠) مقاتل، وعيّن النبي صلى الله عليه وسلم (٥٠) رجلا من الرماة على جبل صغير ليحموا ظهور المسلمين، وأكّد لهم ألا يتركوا مكانهم حتى يأتي أمره، سواء انتصر المسلمون أو انهزموا، وبدأت المعركة، ووقعت الهزيمة بالمشركين ففروا، وحينئذ أخطأ الرماة فنزل أكثرهم ليجمعوا الغنائم، فانقض فرسان المشركين على المسلمين من خلف الجبل، ورجع المشركون المنهزمون؛ فانهزم المسلمون، وتشتتوا، ونجح رسول الله صلى الله عليه وسلم في إنقاذ جيشه المطوق، وسحبه إلى مكان مرتفع في جبل أحد، واكتفى المشركون بما حققوا من نصر، فانصرفوا إلى مكة.

وفي هذه المعركة شُج رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكُسرت رباعيته، واستُشهد (٧٠) صحابيا، وبلغ عدد قتلى المشركين (٢٢) رجلا.

وفي صباح اليوم الثاني من المعركة أمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يلحقوا المشركين خوفا من أن يرجعوا لغزو المدينة، فبلغوا مكانا يسمى (حمراء الأسد) على بعد ثمانية أميال من المدينة، وعسكروا هناك وهم منهكون من الجراح والتعب، ومن الحزن والألم، وكان المشركون قد أجمعوا أن يعودوا إلى المدينة

ليستأصلوا المسلمين، فلما سمعوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد لحقهم انهارت معنوياتهم، فعجَّلوا الارتحال إلى مكة، ثم رجع المسلمون إلى المدينة سالمين آمنين.

٣) **غزوة الأحزاب** سنة ٥ هـ - ٦٢٧م: حرّض اليهود قريشا وغطفان وكثيرا من القبائل على استئصال المسلمين، وبلغ خبر تجمعهم وتحركهم إلى المدينة، فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه، فأُشير عليه بحفر خندق شمال المدينة، وهي الجهة الوحيدة التي يمكن منها دخول الجيوش إلى المدينة.

فحفر المسلمون الخندق ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكابدوا أثناء حفره شدة الجوع والبرد، وأقبل جيش قريش ومن معهم في (٤٠٠٠) مقاتل، وأقبل جيش قبيلة غطفان ومن تبعهم من أهل نجد في (٦٠٠٠) مقاتل، ونقض يهود بني قريظة العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأصاب المسلمين بلاء كبير، وكرب عظيم، وزُلزِلوا زلزالا شديدا، وظهر نفاق المنافقين، وثبَّطوا المسلمين عن القتال، وفرض المشركون الحصار على المدينة بعد أن تفاجئوا بالخندق، والمسلمون يرشقونهم بالنبل حتى لا يقتربوا منه.

وكانت قريظة في جنوب شرق المدينة، والمسلمون عند الخندق في شمال المدينة، وكان المسلمون (٣٠٠٠) مقاتل، ولم يكن أحد يحول بين يهود بني قريظة وبين نساء المسلمين وأطفالهم، فكان الخطر عليهم شديدا من اليهود الغادرين، فأرسل نبي الرحمة (٥٠٠) من أصحابه لحراسة نساء المسلمين وأطفالهم.

واستمر حصار الكفار للمسلمين نحو شهر، ثم يسر الله أمورا حتى تخاذل الأحزاب، وأرسل الله عليهم ريحا شديدة؛ فانصرفوا، قال الله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]، وكانت هذه الغزوة أكبر محاولة قام بها أعداء الإسلام للقضاء على الإسلام والمسلمين، ولكن الله خيبهم.

وجاء الملَك جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمره أن يغزو يهود بني قريظة، الذين نقضوا العهد، وتآمروا مع المشركين على إبادة جميع المسلمين، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بغزو بني قريظة، فتحصن اليهود في حصونهم، وحاصرهم المسلمون خمسة وعشرين ليلة، ثم استسلموا، فاعتقل الرجال، وجعل النساء والذراري بمعزل عنهم في ناحية، وطلب اليهود أن يكون الحكم فيهم إلى سعد بن معاذ الأنصاري، وقد كان حليفا ليهود بني قريظة قبل الإسلام، فلم يجاملهم، وحكم أن يُقتل الرجال، وتُسبى الذرية، وتقسم الأموال، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((قَضَيْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ))[1].

وقد كان هذا الحكم مطابقا لشريعة اليهود، وهو في غاية العدل والإنصاف، فإن يهود بني قريظة بالإضافة إلى ما ارتكبوا من الغدر الشنيع، كانوا قد جمعوا لإبادة المسلمين (١٥٠٠) سيف، و (٢٠٠٠) رمح، و (٣٠٠) درع، و (٥٠٠) ترس، وقد ملكها المسلمون بعد فتح ديارهم، فضُربت أعناق الخائنين من يهود بني قريظة، وكانوا نحو (٤٠٠) رجل، وكان قد أسلم نفر من اليهود قبل الاستسلام فلم يتعرض لهم المسلمون، وطلب بعض المسلمين من النبي صلى الله عليه وسلم أن يمنّ على بعض اليهود، فمنّ عليهم وأطلقهم.

٤)**غزوة خيبر** سنة ٧ هـ - ٦٢٩م: يهود خيبر هم الذين حزّبوا الأحزاب ضد المسلمين، وأغروا يهود بني قريظة على الغدر والخيانة، وكانوا يتصلون بالمنافقين للكيد بالمسلمين، فكانت خيبر وكرا للتآمر على المسلمين، وفي سنة ٧ من الهجرة غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر ومعه (١٤٠٠) مقاتل، وحاصروا حصون خيبر، ثم صاروا يفتحونها حصنا حصنا، ثم إن اليهود طلبوا الأمان على أن يخرجوا من خيبر بنسائهم وذراريهم، فأجابهم نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم، وعاهدهم على ذلك، وسمح لهم أن يأخذوا من الأموال ما حملت إبلهم، إلا الذهب والفضة

(١) رواه البخاري (٤١٢١) ومسلم (١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

والخيل والسلاح، ولما حصل اليهود على الأمان اقترحوا على نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم أن يتركهم في خيبر على أن يقوموا على النخل والزرع، ولهم نصف ما يخرج منها، فرضي نبي الرحمة بذلك على أن يجليهم من خيبر متى شاء.

وبعد ما ذهب الخوف عن اليهود عادوا إلى خبثهم، وتآمروا على قتل النبي صلى الله عليه وسلم، فأهدوا له شاة مسمومة بواسطة امرأة أحد كبارهم، فقبل نبي الرحمة هديتها، وتناول من لحم الشاة مضغة ثم لفظها، وعرَّفه الله أنها مسمومة، وسأل المرأة واليهود فاعترفوا بجريمتهم، فعفا عنهم وعن تلك المرأة، ثم إن بعض أصحابه الذين أكلوا معه مات من هذا السم، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل تلك المرأة قصاصا.

٥)**فتح مكة** سنة ٨ هـ - ٦٣٠م: كان النبي صلى الله عليه وسلم قد عاهد كفار قريش في الحديبية سنة ٦ هـ على وقف الحرب بين المسلمين وبين كفار قريش لمدة عشر سنوات، وكان من بنود الصلح أن من أراد أن يدخل في عهد محمد صلى الله عليه وسلم دخل فيه، ومن أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه، فدخلت قبيلة خزاعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ودخلت قبيلة بني بكر في عهد قريش، وكان بين خزاعة وبني بكر ثارات، فلما وقعت هذه الهدنة، وأمن كل فريق من الآخر، أراد بنو بكر أن يصيبوا من خزاعة الثأر القديم، فأغاروا عليهم ليلا سنة ٨ هـ، وأعانت قريش بني بكر بالسلاح والرجال، وكان هذا نقضا من قريش لصلح الحديبية.

فلما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ عزم على نصرة حلفائه المسلمين من خزاعة، وأمر المسلمين بغزو مكة، وتوجه إلى مكة في شهر رمضان سنة ٨ هـ ومعه عشرة آلاف مقاتل، وباغت أهل مكة، وأمر مناديا ينادي: من أغلق عليه بابه فهو آمِن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمِن، فأسرع كفار قريش إلى بيوتهم وإلى المسجد الحرام، وحصلت مناوشة خفيفة مع بعض كفار قريش قُتِل فيها ١٢ رجلا من المشركين، وفر الباقون.

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فاتحا منتصرا، وهو مطأطئ رأسه تواضعا لله، فطاف بالكعبة، وكان حولها ٣٦٠ صنما، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩]، والأصنام تتساقط على وجوهها، ثم أمر بفتح الكعبة، وأمر بتكسير ما فيها من الأصنام، وصلى داخلها ركعتين شكرا لله سبحانه، وكان كفار قريش قد ملأوا المسجد الحرام، فخطب النبي عليه الصلاة والسلام فيهم خطبة بليغة بيّن فيها كثيرا من أحكام الإسلام، وأسقط أمور الجاهلية، وعفا عن كفار قريش، فأسلم أكثر أهل مكة من الرجال والنساء،

وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة ١٩ يوما يجدد فيها معالم الإسلام، ويطهرها من آثار الجاهلية.

٦) **غزوة حُنَين**: بعد فتح مكة اجتمعت قبائل هوازن وثقيف على قتال المسلمين، وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجمعهم، فخرج من مكة في شوال سنة ٨ هـ ومعه اثنا عشر ألفا، وكمن العدو للمسلمين في وادي حنين، ثم أمطروا المسلمين بالنبال كأنها جراد منتشر؛ فانهزم المسلمون، وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في قليل من المهاجرين والأنصار، ونزل عن بغلته ودعا ربه واستنصره، وأمر من ينادي أصحابه المنهزمين بالرجوع، فرجعوا، واجتمع حول رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع عظيم من المسلمين، فكرّوا على المشركين حتى تفرقوا وهربوا، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، وغنموا شيئا كثيرا جدا، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجمع الغنائم في منطقة (الجِعرَّانة).

وفر أكثر الكفار إلى الطائف، فحاصر النبي صلى الله عليه وسلم الطائف (٤٠) يوما دون جدوى، فقد كان مع العدو قوت سنة، فرفق نبي الرحمة بجيشه وأمرهم بالرحيل، وعاد عليه الصلاة والسلام إلى الجعرانة، فمكث فيها بضعة عشر يوما لا يقسم الغنائم، يرجو أن يرجع المشركون تائبين فيرد إليهم أموالهم وسبيهم، فما جاء أحد منهم، فقسم الغنائم بين المسلمين، وأخرج الخمس من الغنيمة، وأعطاها

لأناس ضعفاء الإيمان يتألفهم، ولأناس لم يسلموا بعد من أهل قريش ليحبب إليهم الإسلام.

وبعد توزيع الغنائم قدم وفد هوازن إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وأعلنوا الإسلام، وطلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يرد إليهم الأموال والسبي، فبين لهم النبي عليه الصلاة والسلام أنه تأخر في قسمة الغنائم انتظارا لهم، ولكنهم تأخروا حتى قسم الغنائم، وقال للوفد: ((مَعِي مَنْ تَرَوْنَ، وَأَحَبُّ الحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فَاخْتَارُوا إِمَّا السَّبْيَ وَإِمَّا المَالَ))، فاختاروا السبي، فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه فقال لهم: ((إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ جَاءُونَا تَائِبِينَ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُطَيِّبَ ذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ))، فقال الناس: قد طيَّبنا ذلك يا رسول الله[1]، فرد نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم إلى هوازن جميع السبي، ففرحوا فرحا عظيما، وأسلموا كلهم رجالهم ونساؤهم.

٧) **غزوة تبوك** سنة ٩ هـ- ٦٣١م: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجمع الروم النصارى لغزو المسلمين في المدينة، فاستنفر المسلمين، وحث الموسرين على تجهيز المعسرين، وخرج من المدينة ومعه (٣٠٠٠٠) مقاتل متجها إلى منطقة تبوك في شمال الجزيرة العربية، وكانت هذه الغزوة عسيرة على المسلمين؛ بسبب قلة الإبل والزاد، وبعد المسافة، وشدة الحرّ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك بعد خمسة عشر يوما من السفر الطويل الشاق، ولما علمت الروم بذلك خارت عزائمهم، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وتفرقوا داخل بلادهم.

وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في تبوك ٢٠ يوما يُرهِب العدو، ويستقبل الوفود، وصالح بعض القبائل على الجزية، وكانت هذه الغزوة آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) رواه البخاري (٤٣١٨) من حديث مروان والمسور بن مخرمة.

* * *

آخر حياته صلى الله عليه وسلم

كان العرب ينتظرون نتيجة الصراع القائم بين قريش والنبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان لقريش الصدارة الدينية عند العرب، وكان العرب يعتقدون أن الباطل لا يمكن أن يسيطر على المسجد الحرام بالقوة والفتح، ولم تكن قصة أصحاب الفيل عنهم ببعيدة، فلما أكرم الله رسوله صلى الله عليه وسلم بفتح مكة سنة ٨ هـ - ٦٣٠م لم يبق عند العرب أدنى شك في كونه رسولا حقا، فبدأت وفود القبائل العربية تأتي إلى المدينة لتقر بتوحيد الله وطاعة الله ورسوله، وصار الناس يدخلون في دين الله أفواجا، حتى اتسعت رقعة الدولة الإسلامية فشملت جميع شبه الجزيرة العربية، وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم ينظم أمور هذه البلاد الشاسعة، فيرسل الدعاة المعلمين، وينصب الولاة العادلين، ويبعث جباة الصدقات المنصفين، ويوفر ما يحتاج إليه نظام العباد والبلاد[1].

وعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على حج بيت الله سنة ١٠ هـ - ٦٣٢م، فأعلم الناس بذلك؛ فاجتمع في المدينة بشر كثير، كلهم يريد أن يأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم في الحج، فحج معه عشرات الآلاف من المسلمين، وأرى الله رسوله ثمرة دعوته وصبره وجهاده.

وعلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين مناسك الحج، وأوصاهم ووعظهم، ونزل عليه قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وفي آخر حياته نزلت عليه آخر سورة قصيرة من القرآن الكريم، وهي قوله تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ

(١) للتوسع في ذلك يُنظر كتاب: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية للكتاني رحمه الله.

اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١ - ٣]، وفي هذه السورة إشارة من الله تعالى لنبيه الكريم بدنو أجله؛ فقد بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده.

وبعد أن تم له ٦٣ سنة مرض عليه الصلاة والسلام، واشتد به المرض أياما، ثم فاضت روحه الكريمة في يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ١١ هـ الموافق سنة ٦٣٢م.

واختار الصحابة أبا بكر الصديق رضي الله عنه خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ودفنوه في حجرة زوجته عائشة رضي الله عنها في الموضع الذي توفي فيه.

قال عمرو بن الحارث رضي الله عنه: (ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة، إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه، وأرضا جعلها لابن السبيل صدقة)[1].

* * *

(١) رواه البخاري (٤٤٦١)

معجزاته ودلائل نبوته

محمد صلى الله عليه وسلم هو أكثر الرسل معجزة، وأبهرهم آية، وأظهرهم برهانا، فمن معجزاته ودلائل نبوته:

١) انشقاق القمر، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انشقت القمر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم شقتين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((اشهدوا))[١]، وأنزل الله قوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١، ٢]، وقد أسلم كثير ممن كانوا يكذبون النبي صلى الله عليه وسلم من أهل مكة، وآمنوا بالقرآن، فلو لم يكونوا رأوا انشقاق القمر لما آمنوا بالقرآن الذي يُثبت انشقاقه، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة القمر في صلاة الجماعة لا سيما في صلاة العيدين التي تجمع كثيرا من المسلمين، ليُسمع الناس ما فيها من آيات النبوة، وكل الناس يُقر ذلك ولا ينكره، فلو لم يكن القمر انشق لما كان يُخبر بهذا ويقرؤه في مجامع الناس العظيمة، ويستدل به ويجعله آية له، فعُلِم بهذا أن انشقاق القمر كان معلوما عند الناس في زمنه، وقد روى انشقاق القمر جماعة كثيرة من أصحابه.

٢) الإسراء والمعراج، والمراد بالإسراء توجه النبي صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى بيت المقدس في فلسطين بصحبة جبريل عليه السلام في جزء من ليلة، والمراد بالمعراج صعوده عليه الصلاة والسلام من بيت المقدس إلى العالم العلوي، وكان ذلك بجسده وروحه في ليلة واحدة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، وقال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى *

---

(١) رواه البخاري (٣٦٣٦) ومسلم (٢٨٠٠).

وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١١ - ١٨].

٣) تكثير الطعام القليل حتى يكفي المئات، وقد وقع هذا أكثر من مرة في السفر والحضر(١).

٤) نبع الماء من بين أصابعه، وقد وقع هذا أكثر من مرة سفرا وحضرا(٢).

٥) حنين الجِذع، حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع، فلما صُنِع له المنبر تحول إليه، فحنّ الجذع وصاح صياح الصبي حتى ضمه النبي صلى الله عليه وسلم إليه، ومسحه حتى سكت(٣).

٦) استجابة الله لدعائه أكثر من مرة(٤).

٧) إبراء المرضى على يديه أكثر من مرة(٥).

٨) ما أُطِلع عليه من الغيوب وما يكون، فقد وعد أصحابه بفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق، وأخبر بفتح خيبر على يد علي بن أبي

---

(١) رواه البخاري (٣٥٧٨) من حديث أنس، ورواه البخاري (٣٥٨٠) ومسلم (٢٢٨١) من حديث جابر، ورواه البخاري (٢٦١٨) من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهم.

(٢) رواه البخاري (٣٥٧٢) من حديث أنس، ورواه البخاري (٣٥٧٦) من حديث جابر، ورواه البخاري (٣٥٧٩) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم.

(٣) رواه البخاري (٣٥٨٣) من حديث عبد الله بن عمر، ورواه البخاري (٣٥٨٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهم.

(٤) يُنظر: صحيح البخاري (٢٤٠) و (١٨٨٩) و (١٩٨٢) و (٣٥٨٢) و (٣٩٠٨)، ويُنظر: الصحيح المسند من دلائل النبوة لمقبل الوادعي (ص: ١٦٩ - ١٩٦).

(٥) يُنظر: صحيح البخاري (٢٩٤٢) و (٤٢٠٦)، ويُنظر: الصحيح المسند من دلائل النبوة (ص: ١٠٩ - ١١٢).

طالب رضي الله عنه في غد يومه، وأخبر بقسمتهم كنوز كسرى وقيصر، وغير ذلك مما وقع كما أخبر به في حياته أو بعد موته[1].

٩) ومن الأدلة على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم: أنه اجتمع فيه من الأخلاق العظيمة والأوصاف الجزيلة والكمالات والمحاسن ما يجزم العقل معها بأنه نبي لا يكذب، فسيرته خير دليل على نبوته، وكذلك شريعته التي يدعو إليها خير شاهد على نبوته، فقد اشتملت على الاعتقادات الصحيحة، والعبادات الكاملة، والمعاملات العادلة، والسياسات الحكيمة، والآداب الحسنة، والأخلاق الطيبة، مما يعلم بأنها من عند الله سبحانه، وأن المبعوث بها نبي كريم.

١٠) ومن الأدلة على نبوته: أنه كان من قوم أميين لا كتاب لهم ولا حكمة فيهم، فبعثه الله من بينهم بكتاب منير، وشريعة كاملة، فقام مع ضعفه وفقره وقلة أعوانه يدعو الناس إلى عبادة الله وحده، وإلى قبول شريعة الله التي ارتضاها لعباده، مخالفا لجميع أهل الأرض من الأقارب والأباعد، واليهود والنصارى، والملوك وغيرهم، فقام يدعو إلى الله، وقال: إني رسول الله، وضلّل آراءَهم، وأبطل مِلَلَهم، وصبر على أذيتهم، وبلّغ رسالة الله التي أرسله بها، ولم يخش لومة لائم، فأظهر الله دينه على جميع الأديان في مدة قليلة شرقا وغربا، ولا يزال دينه مستمرا إلى آخر الزمان، ولم يقدر أعداؤه مع كثرة عَددهم وعُددهم وشدة شوكتهم وفرط تعصبهم وبذل غاية جهدهم إطفاء نور دين الإسلام، فهل يكون ذلك إلا بعونٍ من الله الذي أرسله؟! قال الله سبحانه: ((يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هو الذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ))[الصف:٨، ٩].

---

(١) يُنظر: الشفاء في التعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض (١/ ٢٤٩) وما بعدها.

١١) ومن الأدلة على نبوته: أنه ظهر في وقت كان الناس في أمس الحاجة إلى من يهديهم إلى الصراط المستقيم، ويدعوهم إلى دين الله القويم؛ لأن العرب كانوا على عبادة الأصنام، والفرس على عبادة النار ونكاح الأمهات والبنات، والترك على تخريب البلاد وتعذيب العباد، والهند على عبادة البقر، والصين على عبادة الأوثان، واليهود على تشبيه الخالق بالمخلوق، وترويج الأكاذيب والزور، والنصارى على القول بالتثليث، وعبادة الصليب، والضلال المبين، وهكذا سائر العالم كانوا في الظلمات يخبطون، وبالباطل يشتغلون، ولا يليق بحكمة الله الرحمن الرحيم الحكيم إلا أن يُرسل رسولا يكون رحمة للعالمين، قال الله: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ))[الأنبياء:١٠٧]، وقال: ((كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ))[إبراهيم:١].

١٢) ومن الأدلة على نبوته: آثار الرسول صلى الله عليه وسلم في البشرية، فقد أحيا أمة ميتة، وأخرجها من الظلمات إلى النور، وعلمها من بعد جهل، وأعزها من بعد ذلة، ووحدها من بعد فرقة، وزكاها حتى صارت خير أمة أخرجت للناس.

١٣) ومن الأدلة على نبوته: إخبار الأنبياء المتقدمين عليه عن نبوته، وتبشيرهم بمجيئه، وهذا معروف في كثير من الكتب التي فيها الرد على اليهود والنصارى[١]، ومن ذلك ما جاء في التوراة في سفر التثنية (١٧/١٨-١٨): (قال لي الرب: قد أحسنوا فيما تكلموا. أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به)، وفي التوراة أيضا في سفر التكوين (١٠/٤٩): (فلا يزول القضيب من يهوذا والمدبَّر من فخذه حتى يجيء الذين له الكل، وإياه تنتظر الأمم). وفي إنجيل

(١) منها كتاب: إظهار الحقيقة {ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ}، ومختصره: هدية لمن يحب المسيح عليه السلام، كلاهما للمؤلف.

متّى (١٧/٤، ٢٣): (من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز [أي: يُبشِّر] ويقول: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات. وكان يسوع يطوف كل الجليل يُعلِّم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت)، وفي إنجيل لوقا (٩/١٠): (ويقولوا لهم: قد اقترب منكم ملكوت الله)، وفي إنجيل يوحنا (١٥/١٤-١٦): (إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي. وأنا أطلب من الآب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم إلى الأبد)، وفي إنجيل يوحنا (٣٠/١٤،٢٦): (والفارقليط روح القدس الذي يرسله الآب باسمي هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم كلما قلته لكم. والآن قد قلت لكم قبل أن يكون حتى إذا كان تؤمنوا)، وفي إنجيل يوحنا (٧/١٦، ١٢، ١٣): (لكني أقول لكم: الحق إنه خير لكم أن أنطلق؛ لأني إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط، فأما إن انطلقت أرسلته إليكم. وإن لي كلاما كثيرا أقوله لكم ولكنكم لستم تطيقون حمله الآن. وإذا جاء روح الحق ذاك فهو يعلمكم جميع الحق؛ لأنه لا ينطق من عنده، بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما سيأتي).

١٤) القرآن الكريم، وهو أعظم معجزات النبي صلى الله عليه وسلم على الإطلاق، وهذه المعجزة باقية إلى قيام الساعة، ووجوه إعجاز القرآن الكريم كثيرة منها:

أ- حسن سياقه، وكمال فصاحته وبلاغته، وقد تحدى النبيُ صلى الله عليه وسلم العرب الفصحاء على أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤]

ب-ما اشتمل عليه من الإخبار بالمغيبات، وما لم يكن فوقع على الوجه الذي أخبر به، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ١ - ٤].

ج-ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة، والشرائع الداثرة، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا القليل من أحبار أهل الكتاب، فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه، ويأتي به على نصه، وقد علموا أنه صلى الله عليه وسلم كان أمّيّا لا يقرأ ولا يكتب، ولا اشتغل بمدارسة في صغره وشبابه، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ [هود: ٤٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

د- الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه، والهيبة التي تعتريهم عن تلاوته.

ه- كونه آية باقية إلى آخر الدنيا، مع تكفل الله بحفظه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

و- أن قارئه لا يمله، وسامعه لا يمجّه، بل الإكثار من تلاوته يزيده حلاوة، وترديده يوجب له محبة، لا يزال غضا طريا، وغيره من الكلام يمل مع الترديد.

ز- جمعه لعلوم لم تعرفها العرب، ومعارف لا يحيط بها أحد من الأمم في ذلك الزمان، وتضمنه خير المواعظ والحكم، وبيان حقيقة الدنيا الفانية، وأخبار الآخرة الباقية، ومحاسن الآداب والأخلاق، وفيه بيان كل ما يحتاج إليه المسلمون نصا أو استنباطا أو دلالة، قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

ح-تيسير الله تعالى حفظه لمتعلميه، وتيسير فهمه لدارسيه، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، فما أكثر من يحفظه

عن ظهر قلب من الكبار والصغار، والرجال والنساء، والعرب والعجم، في كل زمان ومكان[1]!

(١) يُنظر: الشفاء للقاضي عياض (١/١٩٧-٢١٤).

المحتويات

المقدمة..... ٣
نسب النبي ومولده ونشأته..... ٤
بدء الوحي والدعوة إلى الله..... ٥
الهجرة إلى المدينة وتأسيس الدولة الإسلامية..... ٦
الجهاد في سبيل الله..... ٧
1) غزوة بدر الكبرى..... ٧
٢) غزوة أحد..... ٨
3) غزوة الأحزاب..... ٩
٤) غزوة خيبر..... ١٠
٥) فتح مكة..... ١١
٦) غزوة حُنَين..... ١٢
٧) غزوة تبوك..... ١٣
آخر حياته صلى الله عليه وسلم..... ١٤
معجزاته ودلائل نبوته..... ١٦
المحتويات..... ٢٣